١٩ الحصان يجرى !

المفوضية الأمريكية فى القاهرة تطلق على العلاقة بين القصر والوفد بأنها « علاقة تناطح » . اتخذ القصر من فساد الوفد هدفاً رئيسياً للهجوم .

ورد الوفد بمزاعم حول تدخل السراى فى أعمال الحكومة .

ولعبت السفارة البريطانية دور الوسيط بين الملك ، ورئيس وزرائه ، على أساس أنه برغم أوجه القصور الواضحة للوفد فقد نجح فى الحفاظ على مصر كقاعدة عسكرية وقت الخطر . . وأنه لا يزال أفضل حكومة مؤهلة ومستعدة لتحقيق هذا الدور .

ومضى الطرفان . . الملك والوزارة يتناوبان تصويب الطلقات ضد بعضها . . والعالم فى حالة حرب . . ومصر أحد ميادينها . . وإن كان القتال قد انتقل من صحارى مصر إلى قلب أوربا .

وكان الحكم فى كل الأحوال هو السفير البريطانى . .

* * *

يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٤٣ استدعى اللورد كيلرن رئيس الديوان الملكى أحمد حسنين باشا وقال له :

— تعهد لى الملك بأن السراى ستمتنع عن مقاطعة الوفد ، ولكن موقف القصر يناقض تماماً هذا الاتفاق .

مثلا رفض الملك الموافقة على التعيينات لشغل المناصب الشاغرة فى محكمة النقض ، وهذا

يعرقل عمل الحكومة .

وقال السفير :

– لا أريد أن نصل إلى طريق مسدود ، ينشأ عنه موقف متأزم يهدد أمن هذه المنطقة كقاعدة مأمونة للعمليات العسكرية .

رد حسنين باشا :

– إن تحسناً ضخماً فى الموقف العسكرى طرأ هنا .

أجاب السفير :

– ومع ذلك تظل مصر قاعدة هامة ، ولابد من إبقائها هادئة وآمنة .

أجاب السفير بصراحة كاملة :

– ليس هناك بديل عملى لإبقاء الوفد فى السلطة .

إن الوفد قادر على إثارة المتاعب فى حالة إجباره على الانتقال إلى صفوف المعارضة .

أجاب حسنين :

– إن مسئولية تعطيل عمل الحكومة تلقى على كاهل الوفد . إن الحكومة فشلت فى اتخاذ موقف صحيح تجاه السراى .

الحكومة تحاول فصل الأزهر عن السراى . وتريد موافقة الملك على التعيينات لملء محكمة النقض بمؤيدى الوفد .

قال كيلرن :

ولكن الملك يقاطع بعض أعضاء الحكومة بالذات .

أجاب حسنين :

هؤلاء مذنبون بعدم الولاء للعرش ! إن الملك يرفض مساندة حكومة فاسدة .

وقال حسنين باشا :

– السراى تقبل العمل مع الحكومة بشرط أن توقف محاولاتها لتقويض امتيازات السراى .

ضاق السفير بالجدل فقال :

– هل الاتهامات التى توجه ضد الوفد ملامح لأوجه ضعف مستعصية ودائمة فى النظام السياسى المصرى .

رد حسنين :

– إن أخطاء الوفد أشد خطورة نسبياً . . والبريطانيون بمساندتهم الحكومة يضعون أنفسهم

فى موقف مماثل لثورة سنة ١٩١٩ باستثناء أن الموقف الآن هو أن الملك (فاروق) يأخذ مكان سعد زغلول والنحاس يأخذ موقف الملك (السلطان عندئذ) فؤاد.

إن ما يجرى الآن هو خلق موقف يجعل الشعب المصرى – الذى قاسى طويلا – يشعر بأن ملجأه الوحيد هو العرش.

والنتيجة أن الملك يحتل الصورة السياسية بطريقة لا تقاوم.

وقال حسنين متخابثاً:

– هذا ضد سياستى وهى إبقاء الملك فوق الأحزاب.

ويكتب جاكوبس قنصل أمريكا إلى حكومته:

«إن الحكومة والمعارضة تستعدان لاختبار قوى يشبه من بعض الوجوه المداولة بين مدربى المتنافسين قبل النزول بفريقيهما إلى الملعب.

والحكومة تتمتع بالتأييد البريطانى، وفريق الوفد لديه من القوة ما يكفى للتماسك، ولكن تحالف المعارضة والسراى يأمل أن يغطى هذا الضعف الواضح بالكشف عن سلسلة من الألعاب المفاجئة التى تستهدف تحقيق انهيار خصومه المحنكين، بنفس الطريقة التى سجلوا بها الأهداف ضد الوفد فى ديسمبر ١٩٣٧.»

يقصد القنصل بذلك إقالة الوفد فجأة فى ذلك العام برغم التأييد البريطانى.

والمعارضة تتجمع جيداً. وتخطط تكتيكاتها بعناية. وتجتذب عدداً متزايداً باستمرار من المؤيدين إلى جانبهم من الملعب..

لكن. يظل زمان، ومكان، المباراة المتوقعة غير محددين.

ويستدعى السفير البريطانى إلى مكتبه أمين عثمان باشا..

قال السفير يلومه:

– هناك قضيتان من قضايا الفساد الحكومى الظاهر.. إحداهما تتصل بإنشاء فروع لبنك مصر، والأخرى تتصل بابن وزير الحربية..

رد أمين عثمان:

– علمت بالقضية الأولى لأنها تدخل فى اختصاصى، وأؤكد لك أنها ستعالج على الوجه الصحيح.

وفيما يتصل بالثانية:

ليست عندى معلومات ولكن سأبحثها.

إن جهوداً حقيقية تبذل للسيطرة على حالات سوء استغلال السلطة، وأرحب بأى

معلومات تقدم لتعزيز جهود الحكومة .

وقال أمين عثمان متذللا للسفير :

– إن يد النحاس باشا نظيفة تماما .

ولكن – لسوء الحظ – لا يمكن أن يقال نفس الشيء عن صهره أحمد الوكيل .

وقد وضعت رقابة دقيقة عليه ، وهذا – تقريباً – كل ما تستطيع الحكومة عمله .

إن القصر يلتزم موقفاً صعباً ، والمشكلة خطيرة ، وتتصل بقضية أساسية هى الديمقراطية فى مواجهة استبداد القصر .

إن الملك – بمساندة حسنين باشا – يلعب لعبة يمكن أن تكون لها عواقب مؤسفة فى يوم من الأيام .

رد السفير :

– هذه مشاعرى أيضاً ولكن مهمتى المحافظة على توازن الأمور .

إن الملك يقدم على غلطة كبرى باللعب بالسياسة بالطريقة الحالية . وكانت لديه فرصة طيبة للقيام بدور مفيد وعمل شيء لتحسين ظروف المعيشة فى البلاد .

وقد أتيحت الفرصة للوفد بنفس القدر .

أجاب أمين عثمان :

– إن الحكومة تحتضن هذه القضية فى شغاف قلبها . وتبذل فى هذا الاتجاه قدراً أكبر مما يبدو على السطح . ولا يوجد من هو أفضل تأهيلا للقيام بمثل هذه السياسة من النحاس العليم بسيكولوجية الشعب .

إن هذه الأمور تحتاج إلى وقت فى بلد كمصر .

ولا ينبغى إخفاق المرء ملاحظة التقدم الملموس الذى يتم .

إن هناك اعتمادات متزايدة للصحة العامة ، والخطوات الجارى اتخاذها لتحسين الخدمة المدنية .

ويقتنع كيلرن – لأنه يريد أن يقتنع – ويكتب سعيداً إلى لندن :

«كانت لدى هواجس وشكوك كبيرة عند تعيين أمين وزيراً للمالية . وقد نصحت بعدم الموافقة على هذا التعيين .

ولكن كما تكشفت لى الأمور أصبحت مسروراً جداً ، وأشعر بأن المطلوب نقل دماء جديدة مماثلة للحكومة على نطاق كبير»

وقال السفير لحكومته :

« لا أرى بديلا عملياً « سريعا » للوفد » .

وتوجد عندى لحظات شك فى بعض الأحيان ، ولكن أعتقد أن هذه الحكومة هى الأفضل فى ضوء مقتضيات الإنجاز الناجح للحرب .

ولكن كيلرن يظل خائفاً من أن تصبح المباراة علنية ونهائية . .

إنه يكتب إلى لندن حتى لا تفاجأ بما قد يقع :

« إن حكومة الوفد فى حالة تململ بسبب عدم تعاون القصر .

والسؤال الماثل :

– إلى متى يمكن السيطرة على الموقف ، لأن الملك – ومن ورائه حسنين باشا – يعمل بصورة متعمدة لإحداث انفجار .

ويهمس مسئول فى السفارة البريطانية بذلك لزميله فى المفوضية الأمريكية . . عندما يسأله :

– متى تنشأ الأزمة . .

يرد البريطانى :

– النقطة الحاسمة هى . . عندما يرى القصر أنه على قدر من القوة يكفى لأن يلقى بالحذر بعيداً ، وأن يحسم القضية بالقوة . . » . . !

وأجد هذا الهمس فى وثائق الحكومتين . . البريطانية والأمريكية ! !

* * *

ويستمر « التناطح » برغم الحكم البريطانى . .

وتنتشر الملاريا فى صعيد مصر .

ويشعر النحاس أن كرسى الحكم يهتز من تحته . . وأن السفير البريطانى لم يعد يؤيده بنفس القوة . .

* * *

ويذهب النحاس – ومعه أمين عثمان – إلى السفير قائلا :

– حان الوقت لتصفية الجو بينى وبينك .

ويبدأ النحاس يعدد ما فعل للإنجليز فيقول :

– بذلت قصارى جهدى (لأكون) مفيداً فى تلبية المطالب البريطانية فيما يتصل بالحرب .

وفرت المواد الغذائية ، واعتقلت غير المرغوب فيهم بما فى ذلك عدد كبير من ذوى العلاقة بالأسرة المالكة . كل هذا وصل بى إلى موقف اتهمت فيه بأنى أفعل ما يريده الإنجليز لأبقى فى الحكم .

ويضيف النحاس :

– لقد تخليتم عن المسئولية بالنسبة للملاريا ، وجعلتم العبء كله على كاهل الحكومة .

– ويبدأ النحاس يهدد بطريقة التلميح :

– إنى مستعد لإلغاء الأحكام العرفية بالكامل وإلغاء الرقابة والاعتقال والعودة إلى المحاكم العادية لنظر كل القضايا .

ولا أعرف إذا كانت هذه الخطوة فى صالحكم – أى الإنجليز أم لا .

يرد السفير البريطانى قائلا فى وضوح :

إن سياستى كانت ولا تزال تقوم على أساس الرغبة فى وجود حكومة تستطيع ضمان أقصى قدر من الهدوء لأن مصر قاعدة عسكرية . وأن يكون لدى هذه الحكومة أيضا العزيمة والقدرة على تنفيذ التزاماتها وفق معاهدة التحالف (معاهدة ١٩٣٦) .

وكان هذا هو السبب الذى من أجله ساندت ، ولا أزال أرى أنه لا توجد حكومة أخرى تستطيع تحقيق هذا الهدف .

وبذلك رد السفير على تلميحات النحاس وكأنه يقول له « جئنا بكم للحكم لتساعدونا فحسب . . وثمن ذلك أن تستمروا فى الحكم » .

ويضيف كيلرن :

– فى ضوء السياسة البريطانية المتحررة أرى أنه مما يدعو للأسف سوء استغلال المادة السابعة من المعاهدة لأسباب سياسية داخلية . إن البريطانيين معتادون تحمل قدر كبير من اللوم – لا يستحقونه – على تصرفات تعتبر من مسئولية الحكومة المصرية .

ولم يأبه البريطانيون لهذا التصرف ما دامت الحكومة تبذل أقصى جهودها ولكنى لا أشعر بأن هذا ينطبق تماماً على الحال بالنسبة لانتشار الملاريا فى الصعيد .

رد النحاس بتكرار استعداده لإلغاء الرقابة والاعتقال .

ومضى يقول إنه مستعد للاستقالة إذا تحول الموقف إلى أن حكومته والإنجليز لا يستطيعان العمل معاً .

أجاب السفير أنه يتعين عليه التشاور مع حكومته قبل الاستمرار فى مناقشة المسألة أبعد من ذلك .

ويتفق النحاس وكيلرن على أن يتولى أمين عثمان بحث مسألة المعتقلين بعد أن تعددت الشكاوى من أن النحاس يعتقل معارضيه . . ولا يكتفى باعتقال خصوم بريطانيا فحسب !

ويكون تقرير السفير البريطانى عن هذا الحديث كله « أن النحاس أصبح يدرك بصورة

متزايدة المشاعر المتزايدة ضده بسبب عيوبه » .

ويقول باروز سكرتير السفارة البريطانية لزميله فى مفوضية أمريكا :

لن نذعن لإلغاء الرقابة والاعتقال . فقد ثبت جدوى الاثنين للمصالح البريطانية كإجراءات حرب ، ويلزم الإبقاء عليهما حتى تتم هزيمة ألمانيا واليابان .

إن مشكلتنا هى إقناع المصريين بسريان التطبيق بالنسبة للمسائل العسكرية فقط بدلا من تحقيق بعض الأغراض السياسية المحلية ، وهذا هو مصدر القلق .

ويقول باروز :

– إن السفير لم يفكر فى اتخاذ أى إجراء فى الوقت الراهن ، وإنه لم يطلب توجيه وزارة الخارجية حول السياسة الأساسية .

وعموماً فإن السفير يميل إلى الرأى القائل بأنه تجرى حالياً مبالغة فى استغلال أخطاء الوفد بصورة كبيرة على يد القصر والدائرين فى فلكه ، وأن الوفد بجميع عيوبه لا يزال أفضل ما يراهن عليه السفير ! !

* * *

وتلتقط المفوضية الأمريكية الخيط ، فتبحث أحوال المعتقلين المصريين .

ويكون نتيجة البحث . . هذا التقرير . .

(بين المعتقلين فى مصر . . على ماهر ، وأحمد حسين ، وعزيز المصرى ، والنبيل عباس حليم ، وطاهر باشا ، وصالح حرب باشا) .

ويخضع عزيز المصرى – وحده – لاعتقال قاسٍ فى سجن القلعة بالقاهرة .

وحددت إقامة صالح حرب فى أسوان ، ولكنه قام أخيراً بزيارة للقاهرة فى محاولة لالتماس إعادة النظر فى أمره .

وقد أبلغ أنه من المستحيل بحث طلبه طالما ظل فى القاهرة دون تصريح . . وإذا كان يرغب فى متابعة الموضوع فعليه أن يعود إلى أسوان .

ويوجد ٥٠ شخصاً معتقلين فى الزيتون بالقاهرة ، وهم يكونون تشكيلة من المعتقلين دون سند قانونى بناء على أوامر البريطانيين ، لأسباب الأمن العسكرى ، و « بناء على أوامر من الحاكم العسكرى المصرى لاعتبارات سياسية » .

وبالإضافة إلى ذلك يوجد مركز اعتقال أكبر فى المنيا ، تستخدمه الحكومة لوضع المعتقلين – دون محاكمة سياسية – مثل توزيع المنشورات السرية ، وما يماثلها من النشاط المعارض .

وما دام السند الوحيد للإبقاء على هذا المركز هو سلطات الحاكم العسكرى – أى رئيس الوزراء طبقاً للأحكام العرفية المفروضة بمقتضى المادة ٧ من المعاهدة المصرية البريطانية – فقد أصبح البريطانيون نتيجة لذلك مسئولين بشكل غير مباشر فى نظر الرأى العام عن التجاوزات التى وقعت فى استخدامه .

* * *

ويبقى الملك فاروق فى انتظار الفرصة المناسبة للإطاحة بالنحاس بدلا من التناطح معه . .

يزور الملك المناطق المنكوبة بالملاريا فى محافظتى قنا وأسوان ، فيذهل من سوء أحوال الناس – أو هكذا يقول – فيتهم النحاس بإخفاء الحقائق عنه .

ولا يجد النحاس ما يفعله رداً على زيارة الملك إلا أن يقوم بدوره بزيارة هذه المناطق . . وتحشد الإدارة كل جهودها ليكون استقبال النحاس أضخم وأروع .

واكتسبت زيارة رئيس الوزراء طابع موكب نصر عظيم ، غطى على استقبال الملك . . ويعلن النحاس أن كل شىء على ما يرام .

ويكون ذلك كله مقدماً للأزمة . . أو للمباراة التى ظن الملك أنها فاصلة بينه وبين النحاس . .

وجد الملك أن شرفه أهين بشدة من جراء التلميحات التى وردت فى خطب النحاس . . وتتصاعد حدة الأزمة . .

وهذا ترتيبها الزمنى وتسلسل أحداثها . . من الوثائق السرية البريطانية والأمريكية . . معاً . ولا أنقل عن مصادر مصرية ، لأن الرقابة على وسائل النشر كانت شاملة . . فى هذه الأيام . .

* * *

٧ أبريل : عاد النحاس باشا من جولة فى المحافظات المنكوبة بأسوان وقنا التى زارها الملك فاروق قبل ذلك فى فبراير .

٩ أبريل : تهمس المصادر الوثيقة الصلة بالسراى بأن الملك تأثر جداً للمظاهرات التى سادت جولة النحاس باشا ، وللملاحظات التى تستهدف التقليل من تقدير الملك لخطورة الوضع .

ويعطى الملك الانطباع بأنه ينوى القيام بشىء يكون لفتة للتاريخ أكثر منه حركة ضخمة تستهدف دفع الموضوع إلى مداه النهائى .

١٢ أبريل : تلقى كيلرن مكالمة تليفونية من القصر الملكى وطلب منه الحضور لمقابلة الملك فى الرابعة بعد الظهر .

ولم يكن بإمكان السفير ذلك ، لأنه كان على موعد مع القائد العام للقوات البريطانية للحديث حول تمرد القوات اليونانية فى مصر. ولذلك عدل الموعد إلى الثالثة بعد الظهر.

وتناول كيلرن الغداء فى المفوضية الصينية ، وغادرها فى الثانية والنصف وترك زوجته هناك.

وأبدل ملابسه فى السيارة ليرتدى ما يناسب اللقاء الملكى.

برقية رقم ٧٢١

بتاريخ ١٢ أبريل ١٩٤٤

من اللورد كيلرن

إلى وزارة الخارجية

عاجل جداً

١ – استدعانى الملك فاروق بعد ظهر اليوم.

٢ – قرأ الملك علىّ وسلمنى مذكرة.

٣ – أعقب الملك ذلك بالتصريح التالى الذى أنقله من واقع كلماته :

«لأول مرة ، وبوجود هذه الحكومة التى يتولى رئاستها رجل معروف بأنه صديق لك وللبريطانيين ، فإننى أشعر الآن أنه أصبح من الممكن جداً أن نضع حداً لكل جوانب سوء الفهم بيننا ، وأن نبدأ صفحة جديدة ونقيم علاقاتنا على أساس تفاهم متبادل»

وقال جلالته إنه وقع بيننا – أنا وهو – صدام فى الماضى. ومن هنا فإنه يدلى بهذا التصريح.

٤ – واستمر الملك يتحدث بالتفصيل فى النقطة التالية :

«كانت مناقشاتنا طوال المقابلة ودية للغاية وهو ماحرصت على المحافظة عليه».

قال الملك :

إنه لايمكن أن يكون هناك ملكان فى مصر.

أسرعت بالتدخل وقلت :

– إننا اكتشفنا بالفعل أن ملكاً واحداً يكفى.

سر الملك وضحك كثيراً لهذه القفشة.

٥ – أوضحت على الفور أننى غير مستعد لأن أدلى بما هو أكثر من تعليق مبدئى.

٦ – أولا :

من المؤسف أن جلالته واجهنا بهذه القنبلة دون سابق إنذار عن طريق حسنين أو غيره.

فلو أن جلالته عرف وجهة نظرنا مقدماً لكان من الممكن أن يكون موقفه أكثر يسراً .

٧ – ثانيا :

على الرغم من أنه لاتوجد حكومة مصرية كاملة ، أو رئيس وزراء مصرى كامل ، فإن الحكومة الراهنة قامت بدورها بشكل يدعو للإعجاب كحليف فى وقت الحرب ، وبشكل أثار ارتياحنا .

وبينما كان الآخرون يتذبذبون ، كانت هذه الحكومة على ثقة قوية بنا ، وصمدت فى الشهور الحاسمة عام ١٩٤٢ عندما كان العدو على الأبواب .

ومن وجهة نظرنا الخارجية كان من الواضح فوق كل شك أن النحاس باشا وحكومته لم يكونا فقط فوق مستوى النقد ، بل إنهما بذلا كل جهودهما لدعم ومساعدة المجهود الحربى .

٨ – على أساس نفس هذا الخط من التفكير ، فإننى لا أستطيع أن أتصور وقتاً غير مناسب كهذا الوقت لتغيير الحكومة – بشكل ينطوى على عدم الاكتراث – فى الوقت الذى يوجد فيه مصير مصر والعالم كله معلقاً فى الميزان .

إن هذا يبدو غير معقول ، وأعتقد أن لندن ستشعر بنفس الشعور .

٩ – وبالاضافة إلى ذلك ، فهل جلالته واثق من الحقائق ، ومن صحة ادعاءاته عن جولة النحاس باشا الأخيرة فى الوجه القبلى ؟

لقد تلقيت تأكيدات بأن الأنباء القائلة بأنه أصر على أن يعد له الجيش تكريماً ملكيًا لا أساس لها من الصحة .

١٠ – وأكد الملك أن لديه أساساً كافياً لشكواه من أن رئيس الوزراء يتعدى على مركزه الملكى .

١١ – حملت جلالته على الاعتراف بأن الورقة التى سلمها لى لايمكن – بأى حال – اعتبارها قراراً ، وأن شيئاً لن يتم حتى يتاح لى الوقت الكافى لإجراء مشاورات مع حكومة صاحب الجلالة . ولكن جلالته ألح فى الإسراع بذلك .

١٢ – قلت إنى – بطبيعة الحال – سأقدم تقريراً كاملا عن محادثاتنا . وإنه من الصواب أن أحذره بأن الإجابة ستكون حادة .

ولذلك فإنه من المهم أن يمنح جلالته بشدة تسرب أى شىء عما اقترحه علىّ اليوم حتى أستطيع أن أجتمع به مرة أخرى ، ونواصل تبادل وجهات النظر «بشكل ودىّ غير رسمى» . ووافق جلالته تماماً .

١٣ – وفى إحدى اللحظات أشار الملك إلى الخطابين المتبادلين بينى وبين النحاس باشا فى

٥ فبراير ١٩٤٢ . وبدا كما لو كان يجادل على أساس أن هذين الخطابين يستبعدان احتمال وصول رد حاد .

وأشرت إلى أنه لو قرأ النص بمزيد من الاهتمام فسيرى أن خطابى تم إعداده بعناية وأنه بينما سياستنا قائمة – وهى كذلك بالتأكيد – على أساس عدم التدخل فى الشئون الداخلية . فإنه من الممكن تصور ظروف قد يكون لدينا فيها ما يبرر هذا التدخل . ويكون علينا أن نتدخل لدعم هذه السياسة نفسها .

١٤ – وأخيراً حصلت منه على قائمة بأعضاء حكومته المؤقتة المقترحة . وكان من الواضح أن جلالته متردد بعض الشيء فى الكشف عن هذه الأسماء .

وقد دهشت عندما قدمها لى :

حسنين باشا (رئيسا للوزراء ومعه مجلس يضم إلى حد كبير مسئولين سابقين) حسن صادق ، وسابا حبشى ، ورفعت وشوشة وكيلى وزارة الداخلية والصحة ، وشخصيات لاوزن لها ، وعمرو باشا بطل الراكيت . . ومجموعة من الشخصيات التى لانشاط لها فى البلاد

أشرت على الفور لجلالته إلى أن فكرة تشكيل مثل هذه الوزارة فى الوقت الحاضر أمر لاينطوى على جدية بالتأكيد .

لقد شهدنا مايكفى من حكومات الأقلية (حسن صبرى وحسين سرى) ويجب أن يتولى الوزارة شخص تؤيده البلاد . لماذا لايسمح للنحاس باشا أن يتوجه إلى البلاد ويختبر رأى الشعب بالاقتراع .

ولم تعجب هذه الفكرة جلالته بطبيعة الحال .

١٥ – وعندما شعرت أنه من غير المرغوب فيه الاستمرار فى المناقشة ، وكررت القول بضرورة اعتبار ملاحظاتى شخصية ومبدئية بحتة . ويجب أن أؤكد أيضاً أنى أعتقد أن هذه الخطوة غير ملائمة ومن المرجح أن تؤدى إلى رد فعل حاد من جانبنا . ولكن فيما يتعلق بهذه النقطة . فإنه ينبغى أن أؤجل أى تعليق آخر حتى أتلقى تعليماتى .

١٦ – وأكرر أن محادثاتنا كانت طوال الاجتماع ودية . ولكن من الواضح أن جلالته لايقدر أدنى تقدير أن الحرب لاتزال فى الميزان ، وأننا لسنا فى حاجة إلى الشعور بمزيد من القلق بشأن استقرار قاعدتنا فى مصر .

١٧ – سوف أبعث بالتعليق الذى أفكر فيه فى أسرع وقت .

ولا ينسى كيلرن قبل أن يغادر القصر أن يقول للملك محذراً : إنه يتوقع أن يكون رد لندن مرير المذاق جدًا . . وإن رفض تغيير الوزارة أمر محتمل جدًا .

ومعنى ذلك أن كيلرن أبلغ (فاروق) أنه لا يستطيع أن يقرر عزل رئيس الوزراء إلا باستشارة لندن ، وموافقتها أيضا .

* * *

ولا ينتظر كيلرن الجواب من لندن . . بل إنه يبحث على الفور مسألة استخدام القوة ضد فاروق إذا أصر على إقالة النحاس . .

١٣ أبريل : أبلغت السفارة البريطانية النبأ سراً إلى السفارة الأمريكية . . كما أن القصر أبلغ الأمر إلى الملحق العسكرى الأمريكى .

وأحيط محرر صحيفة « الإجبشيان ميل » التى تصدر فى مصر باللغة الإنجليزية بأن شيئاً هاماً يخص الملك سيعلن !

١٤ أبريل : ذاع النبأ وعرف الناس أن مؤشراً خطيراً يسود علاقات السراى والحكومة وتصورت الإشاعات قصة تقول : إن النحاس وعد بعدم احترام مرسوم ملكى بمنح محافظ السويس رتبة الباشوية .

وقصة أخرى تقول : إن بريطانيا ليست راضية عن مساندة أمريكا للقصر .

واستغل نبأ نقل ألكسندر كيرك الوزير الأمريكى وتعيينه سفيراً فى إيطاليا فى طاحونة الإشاعات .

البريطانيون قالوا إن كيرك موالٍ للقصر ولذلك نقل . .

والقصر يدعى أن كيرك موالٍ لبريطانيا .

وأضيف عنصر جديد للموقف وهو إعلان حالة الطوارئ فى بوليس القاهرة والحرس الملكى .

* * *

وفى لندن عقد اجتماع أمريكى بريطانى مشترك

وهذا نص محضر الاجتماع من الوثائق الأمريكية .

وكان مقرراً عقد هذا الاجتماع قبل الأزمة الطارئة

حضر الاجتماع كل من :

السيد موريس بيترسون / الوكيل المساعد لوزارة الخارجية البريطانية .

المستر ب . س . سكريفنر / رئيس القسم المصرى بوزارة الخارجية البريطانية

المستر والاس مورى / مدير مكتب شئون الشرق الأدنى وأفريقيا بوزارة الخارجية الأمريكية.

المستر فوى د . كوهلر / مكتب شئون الشرق الأدنى وأفريقيا بوزارة الخارجية الأمريكية
المستر روبرت سى / من السفارة الأمريكية فى لندن .

ناقش السير موريس بيترسون العلاقات البريطانية مع مصر بصفة عامة فقال إنها تقوم على أساس المعاهدة المصرية – البريطانية لعام ١٩٣٦ ، وأن البريطانيين كانوا يحاولون بصدق ترك المصريين يسيرون أمور بلادهم ، خاصة فى أوقات السلم .

وقال إنهم صادفوا بعض المتاعب فى بداية الحرب ، وإنهم اضطروا للتدخل فى الشئون الداخلية المصرية بقدر أكبر مما كانوا يرغبون فيه .

ولم يكن باستطاعتهم السماح لمصر بالسقوط تحت نفوذ أو سيطرة المحور ، أو العناصر الموالية للمحور ، وكانت بالغة القوة .

وقال السير موريس إنه يتوقع فى ضوء السياسة الثابتة للوفد أن يتصل المصريون بالبريطانيين عقب الحرب لعرض مقترحات لتعديل معاهدة عام ١٩٣٦ .

وقال إن البريطانيين سوف يردون بأن المعاهدة لا يمكن تعديلها طبقاً للشروط الواردة فيها قبل عام ١٩٥٧ .

وأضاف إن البريطانيين سيقدمون بالتأكيد على خطوات لإخلاء قواتهم ومنشآتهم العسكرية من مصر بأسرع قدر يتفق مع اعتبارات الأمن ، وهذه هى الخطوة التى يشعرون بأنها مثار الاهتمام الرئيسى للمصريين .

وفيما يتصل بالسودان ، أوضح السير موريس أن البريطانيين يشجعون المشاركة المتزايدة للوطنيين فى الحكم ، بهدف إقامة الحكم الذاتى فى نهاية الأمر ، خاصة فى الشمال العربى ، حيث يعتبر الوطنيون أى السودانيون – متقدمين نسبياً .

أما فى الجنوب حيث الحياة بدائية فإنه يحتمل أن تستمر الإدارة على الأسس الحالية لفترة من الوقت .

وتلت ذلك مناقشة عامة حول الوضع السياسى فى مصر .

فقال السير موريس إن الوفد كان يمثل – فى الأصل – العناصر العنيدة المتشددة فى مصر ، وله برنامج يقوم على محاولة إخراج أى نفوذ أجنبى من البلاد ، وبصفة خاصة النفوذ البريطانى .

وكان البريطانيون من حيث المبدأ – مستعدين تماماً لقبول قيام حكومة أخرى فى مصر .

ولكن لم يظهر فى الأفق أى بديل آخر كما هو الحال فى معظم دول الشرق الأوسط .

وقال إن البريطانيين لا يستطيعون بالتأكيد أن يشعروا بأى ثقة عند وقوع الشئون المصرية

تحت السيطرة المباشرة لشاب مثل الملك فاروق ، فهم لا يشعرون بأدنى قدر من الثقة فى قدراته وذكائه .

وحين قال مستر موراى إنه ربما لم تتح الفرصة للبريطانيين لتدريب الملك فاروق فى إنجلترا .

أجاب السير موريس بأن الملك لم يبق فى إنجلترا سوى فترة قصيرة جداً تعلم خلالها قدراً ضئيلا على يد معلم خاص .

وأضاف قائلا إنه لحسن الحظ أن (فاروق) لم يدخل إحدى المدارس العامة البريطانية .

وفى رأيه أنه لو حدث هذا فربما كان مدمراً . ويشعر بأن أفضل طريقة لخنق استياء مدى الحياة لدى أى حاكم شرقى مقبل ضد البريطانيين أن تجعله يتعرض بضع سنين لهذا النوع من المعاملة الجافة التى يتلقونها فى المؤسسات التعليمية البريطانية .

١٥ أبريل : زادت الإشاعات وعرف السفير البريطانى أن رد لندن سيتأخر بضعة أيام ولذلك اتصل السفير بحسنين باشا وجدد له ضرورة الامتناع عن اتخاذ أى إجراء ضد النحاس .

١٦ أبريل : أصبح معروفاً بصفة عامة أن السفير البريطانى ينتظر التعليمات من لندن . . وينتظر معه الملك والنحاس !

١٧ أبريل : تلقى السفير البريطانى رسالة من تشرشل بأن الموضوع خطير وأنه سيعرض على وزارة الحرب البريطانية .

وناشد تشرشل الملك الامتناع عن اتخاذ إجراء يعرض الموقف للاضطراب ، ولكن كيلرن يمتنع عن تسليم الرسالة للملك ، نظراً لأن (فاروق) وحسنين أكدا أنهما ينتظران قرار لندن .

ويتلقى كيلرن رسالة من الجنرال باجت قائد القوات البريطانية ، عارض فيها استخدام القوة ضد فاروق من حيث المبدأ ولعدة أسباب .

ويتصل كيلرن باللورد موين وزير الدولة فى الشرق الأوسط الذى رأى عقد اجتماع للجنة الدفاع التى تضم قادة القوات البريطانية فى مصر .

١٨ أبريل : عقد اجتماع لجنة الدفاع وحضره كيلرن وتيرينس شون الوزير المفوض ووالتر سمارت المستشار الشرقى للسفارة وكل قادة القوات البريطانية فى مصر .

ورأس الاجتماع والتر موين وزير الدولة البريطانى ووصف كيلرن ماجرى فى الاجتماع . . وكتب بنفسه المحضر الكامل له :

« كان والتر قد أعد سلسلة من الأسئلة بشأن الأثر الذى يمكن أن يتركه استخدام القوة إذا تمت الموافقة عليها .

وتبنى الجنرال باجت ومستشاروه الخط القائل بأنه ليس بمقدورهم بأى حال من الأحوال

تنفيذ هذه السياسة – حتى وإن صدرت بها أوامر من بريطانيا .

بل أكثر من ذلك ، فإنهم يعارضونها على أساس مدى فائدتها العملية والحكمة منها . وكانت المناقشة حامية . ومتعارضة على طول الخط مع الرأى الذى أوصت لندن به .

وتبنى الأدميرال كاننجهام وحده بعض النقاط التى عرضتها – وتقرر أن يعد والتر موين برقية لإرسالها إلى لندن تتضمن آراء رؤساء الأركان – بالإضافة إلى التوصية باتباع سياسة إقامة حكومة محايدة ، يمكنها أن تنظم انتخابات حرة . » .

« حاولت بلا جدوى أن أجعل أعضاء الاجتماع يدركون أن ذلك هو الهدف المثالى الذى نتمنى أن نراه جميعاً ، إلا أنه لا يمكن تحقيقه على الإطلاق فى – مصر – حيث تزور الانتخابات دائماً . » .

« وأكثر من ذلك وفى وضع مثل الذى نحن فيه – وهناك رجل يدير الدفة فى القصر مثل حسنين باشا – فلن تكون الانتخابات سوى تنفيذ لأوامر القصر .

ولم ألح فى هذا الأمر كثيراً – فقد كنت أتوقع بحث – أنه قبل أن تصل برقية والتر إلى لندن – فإن وزارة الحرب – ستكون قد اتخذت قرارها .

وحتى إذا لم يؤكد هذا القرار توصياتى فسأعرف أين أضع أقدامى – وقد عرضت على لندن مساعدة أصدقائنا » (يقصد الوفد) .

« وكان ضميرى مستريحاً لأن القرار سيصدر بعد بحث وتقييم كافة الحجج . .

وإذا جاء قرار لندن – كما أتوقع – ضد استخدام القوة – فسأكون قادراً على إقحام النحاس باشا بالإشارة إلى خطابه لى فى ٥ فبراير ١٩٤٢ الذى يطلب منى فيه رسمياً وبوضوح ألا تتدخل الحكومة البريطانية مرة أخرى فى عزل أو تعيين الوزراء المصريين » .

وفى مذكراته قال كيلرن :

« عدت إلى مكتبى ، وبعد دقائق اتصل بى سمارت تليفونياً ، قال لى إن حسنين باشا اتصل به تليفونياً منذ برهة ليبلغه بأن الملك (فاروق) وقّع مرسوماً بإقالة النحاس باشا . .

طلبت من سمارت الاتصال بحسنين باشا ، وإبلاغه بأنى أريد رؤية الملك فوراً لتسليمه رسالة رسمية من رئيس وزرائنا .

جاء رد الملك بأن أتوجه إليه على الفور ، وألا أهتم بتغيير ملابسى وارتداء الملابس الرسمية .

وهكذا توجهت إليه واستقبلنى جلالته » .

« بدأت المقابلة بلهجة ودية للغاية لأنه كان مسروراً لرؤيتى أرتدى (بدلة كاكى) .

قلت له :

إننى لا أرتدى غيرها – هذه الأيام - لأن قماشها هو الوحيد الذى يمكن الحصول عليه .

قال : « إنه يعتقد أنها فكرة رائعة للغاية ، وأنه يشعر بإغراء لتقليدها » .

« وبعد أن بدأنا الحديث بهذه اللهجة الودية تماماً أخبرته أنى طلبت مقابلته على وجه الخصوص فى ضوء الخبر المقلق الذى أفضى به حسنين باشا إلى سمارت .

قلت إنى لا أفهمه فقد تلقيت مساء السبت الماضى – فقط – عن طريق حسنين باشا – تأكيداً رسمياً للغاية من جلالته بأنه لن يتخذ إجراء مفاجئاً ، وأنه لن يفعل شيئاً قبل أن يقابلنى مرة أخرى – عندما أتلقى تعليمات من لندن .

وتساءلت :

– كيف يمكن لجلالته أن يطابق بين ما وصلنى عن طريق حسنين باشا وبين هذا التأكيد .

وجد الملك صعوبة فى الرد .

ولكنه أجاب بأنه يستطيع تفسير ذلك بسهولة .

– قلت إنه من الأفضل أن ننحى ذلك جانباً حتى أنقل إليه رسالة مستر ونستون تشرشل التى أحملها فى جيبى .

– وبدأت فى قراءتها له عندئذ – وهذا نص الرسالة :

« إن القضية التى نشأت بين جلالتكم وحكومة النحاس باشا – لهى من الأهمية – حتى إنى لابد أن أنتهز فرصة لعرضها على حكومة الحرب . . وقد حددت اجتماعاً لهذا الغرض فى موعد مبكر من الأسبوع القادم – أى الأسبوع الحالى . .

لذلك فإنى أثق أنكم لن تتخذوا عملا عنيفاً خلال هذه المهلة .

ولقد أرسلت تعليماتى لسفير صاحب الجلالة ملك بريطانيا بأن يتخذ كافة الإجراءات المتاحة له بضمان عدم قيام النحاس باشا هو الآخر بأى عمل من هذا النوع » .

« ومن المؤكد تقريباً – أن حكومة صاحب الجلالة ملك بريطانيا ستقف ضد الذى يوجه الضربة الأولى . . . إذا وضعنا فى اعتبارنا ان مصر قد جنبت – بفضل جهودنا – ويلات الغزو وأن تتحول إلى ميدان للقتال ، وظلت أرضاً تنعم بالسلام والازدهار ، فإن من حقنا أن نتوجه إليكم بالحديث فى هذا الشأن » .

« وحثثت جلالته على أن يفكر فى هذه الرسالة بعناية – وخاصة الفقرة الأخيرة منها – وأنه سيتحمل مسئولية خطيرة للغاية إذا قام الآن بتنحية الحكومة الحالية برغم هذه الرسالة من رئيس وزرائنا .

وأكدت أنه لابد أن ينتظر – من أجل صالحه الخاص ومن أجل الصالح العام – حتى تصلنى تعليمات من حكومة الحرب فى لندن وهذه التعليمات ستصل قريباً » .

« وبدأ الملك عندئذ فى إعطاء تبريرات طويلة وواهية للسبب الذى من أجله أخل بتأكيده مساء السبت الماضى .

قال إن النحاس الآن فى طريقه إلى الإسكندرية ، وسيكرر دون أدنى شك – ما فعله فى الصعيد » .

« رددت على الفور بأن جلالته مندفع تماماً فى القفز إلى أى استنتاجات بشأن ما يمكن أن يفعله النحاس أو يقوله فى الإسكندرية .

ذكرته مرة أخرى – وبكل الجدية – برسالة رئيس الوزراء ، وأنى أطلب رداً على الرسالة .

وأخبرته بأنى كنت على حق تماماً فى عدم إبلاغى شيئاً للوزارة المصرية – فقد التزمت بالسرية المفترض التزام الطرفين بها فى لقاء الأربعاء الماضى .

ولكن فى ضوء تطورات اليوم ، وفى ضوء تحذير رئيس الوزراء ، فإننى أجد نفسى تبعاً للتعليمات المحددة من رئيس وزرائى مضطراً لاتخاذ إجراء بشأن النحاس باشا – لتلافى خطر أى إجراء مندفع من جانب الحكومة .

ولهذا الغرض ، فإنى سأتصل بالحكومة خلال عشر دقائق من عودتى من المقابلة الحالية مع الملك . » .

« قال الملك إننى – سأتلقى خلال ساعة رداً على رسالة رئيس الوزراء تشرشل »

وعند خروجى رأيت أن أمرّ على حسنين باشا وأبلغه بما قلت للملك وأحذره من أى شىء متهور قبل أن أتلقى تعليمات من لندن وهى تعليمات لا يمكننى بأى حال من الأحوال التنبؤ بطبيعتها .

وأضفت أننى مندهش من خرق الملك للتعهد الذى أبلغنى به يوم السبت الماضى .

حاول حسنين باشا ، بمنطق ضعيف ، أن يثبت أن تصرف الملك كان مبرراً .

ولكن رفضت الاستماع إليه وأخبرته أننى لا أستطيع أن أقر كيف يمكن لرجل عاقل مثله أن يسمح للملك بأن يهدينا – مسدساً – دون أن يعرف أولا كيف ستتقبل لندن ذلك ؟

قال حسنين باشا إنه فى محادثاته مع سمارت حذّر مما قد يحدث .

أخبرته أننى أرفض مرة أخرى الإقرار بذلك فإنه لم يبلغ سمارت مطلقاً بكلمة واحدة تشير إلى مثل هذا الإجراء من جانب الملك .

« لقد وجه كثيراً من الانتقادات للحكومة – ولكن ذلك كان شيئاً مختلفاً تماماً –

وفى ختام محادثاتنا قلت :

على أى حال الملك لديه الآن تحذير مستر ونستون تشرشل ، وإننى أنتظر رداً على ذلك . .

وفى نفس الوقت -- فإننى كما أبلغت جلالته بسبيل أن أتخذ إجراء مع الحكومة المصرية تمشياً مع التعهد الذى قطعته على نفسى . »

« عدت إلى السفارة واستدعيت أمين عثمان .

أخبرته بأن إجراء وشيكاً لم أحدده - يجرى إعداده فى القصر .

وأخبرته بأننى حذرت القصر باسم مستر ونستون تشرشل - من أنه لابد أن ينتظر معرفة وجهة نظر لندن . وأن الحكومة البريطانية ستقف بالتأكيد تقريباً ضد الطرف الذى يتخذ المبادرة .

وطلبت منه أن يبلغ هذا التحذير إلى النحاس باشا على الفور .

وقال أمين ، الذى خمّن بالضبط ما يجرى فى الأفق ، إنه سيتصل بالنحاس باشا على الفور . »

« وتساءل أمين عثمان عما إذا كان عليه أن يشير على النحاس باشا بالعودة إلى القاهرة قلت له إن ذلك أمر ليس من حقى النصح به ، فرئيس الوزراء المصرى يجب أن يقرر بنفسه ما إذا كان ضرورياً له العودة إلى القاهرة أو لا . .

وهكذا . . ذهبت لتناول عشائى الذى تأخرت عليه . وما إن انتهيت منه حتى تلقيت مكالمة تليفونية من حسنين باشا تفيد أن الملك (فاروق) وافق على عدم اتخاذ قرار حتى تصل التعليمات من لندن » .

* * *

١٩ أبريل : تلقى كيلرن هذه البرقية من ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا :

« سيجتمع مجلس الوزراء مساء اليوم الأربعاء ، ومن المحتمل جداً أن يؤيد مجلس الوزراء حكومة مصرية ديمقراطية ضد عصابة القصر الذى يتربع على عرشها طاغية شرقى ، أثبت فى كل مناسبة أنه ليس صديقاً لإنجلترا » .

« وفى نفس الوقت تأكد من أنه لدى قادة القوات ما يكفى من القوات للتعامل مع أى قلاقل يثيرها المصريون . . وللتصدى لليونانيين أيضاً (يقصد المتمردين اليونانيين) .

ويأخذ كيلرن نسخة من البرقية لمناقشتها مع والتر موين وزير الدولة .

يقرأ موين البرقية ويبدو عليه الانزعاج .

قال له كيلرن :

هذه البرقية تلغى الرسالة التى بعثت بها أنت إلى لندن ، وتتضمن آراء قادة القوات . ويشير عليه كيلرن بدعوة لجنة الدفاع للانعقاد .

ويحدد موعد الاجتماع فى السادسة والنصف من مساء نفس اليوم ويأخذ نسخة من البرقية ليعرضها على الأدميرال كاننجهام والجنرال باجت ، لأنهما سيتناولان الغداء معه ذلك اليوم .

وكان تعليق موين النهائى أن ذلك مثل محاولة إمساك الثور من قرنيه ، وإجبار الشاب – أى فاروق – « إما على التواطؤ معنا أو التنحى » .

وتساءل عما إذا كنا نملك القوة اللازمة لفعل ذلك !

أجاب كيلرن « بأن رد الفعل الأول لدى أنى وقد لعبت دورى يجب أن أسلم الأمر للعسكريين لتنفيذ السياسة التى ترى حكومتنا اتخاذها .

وفى نفس الوقت فإننا لم نتلق بعد القرار النهائى . ومن الواضح أنه يجب علينا الانتظار قبل اتخاذ تصرف نهائى . . »

وأضاف كيلرن :

« دعوت السماء أن أكون محقاً فى الدفاع عن هذا الخط المتشدد . وأننى شخصياً مقتنع بأننى على صواب ، ولكننى محاط مرة أخرى بكثير من المتشككين » .

* * *

وتجتمع لجنة الدفاع فى موعدها فى السادسة والنصف ، بعد أن أبلغهم والتر موين بمضمون ما تلقاه كيلرن هذا الصباح من رئيس الوزراء .

وكان الأمر متروكاً لقادة القوات لتقدير المتطلبات العسكرية التى يحتاج إليها الأمر .

تقدم الجنرال باجت بمسودة مشروع لوزارة الحرب تبدأ بفقرتين عن الإمكانات البديلة .

وطلب تعليق كيلرن على ذلك .

قال كيلرن :

إننى أعتقد أنهما مكتوبتان بشكل مفرط فى التحديد وفيهما الكثير من الأشياء التى لا يمكن تقييمها بدقة .

فعلى سبيل المثال لا أعتقد أن باستطاعة أحد أن يتنبأ بموقف الجيش المصرى – وبدرجة أقل موقف البوليس . فالكثير من الأشياء يعتمد على ما يقع من أحداث » .

وقال كيلرن :

واضح أن أى شىء يتضمن الإطاحة بالعرش سيلقى مواجهة صلبة من كليهما . ولكن

ذلك – كما يعرف أعضاء الاجتماع – كان بعيداً تماماً عن الأفكار التى تدور برءوس الحاضرين . .

وقال كيلرن :

إذا أخذ الملك فاروق بالعناد وسارت الأمور فى هذا الاتجاه فإننى لست مقتنعاً شخصياً بأن الجيش أو البوليس يمكن أن يعارض أى تغيير لمن يتولى العرش . وأن الأمير محمد على نفسه ناقش هذا الموضوع معى منذ عام مضى بشكل غير رسمى على الإطلاق – وبصورة نظرية تماماً – وكان مما قاله إنه يعرف أن السبب فى تركنا له عام ١٩٤٢ كان بسبب صديقته المعروفة ! !

صححت له هذه الفكرة التى لم تلعب أى دور فى أحداث عام ١٩٤٢ .

وانطلاقا من ذلك صارحنى الأمير بشكل شخصى تماماً بأنه إذا تم توليه العرش فلن يحتاج الأمر إلا لزمن قصير للغاية لحشد الجيش المصرى حوله . » .

وناقش الاجتماع أيضاً الإجراءات المتعلقة بالأساليب والوسائل الدستورية فى حالة عناد الملك فاروق ضد مشورة الإنجليز .

قال كيلرن :

– إننى أعتقد إذا أيدت التعليمات النحاس باشا فيتعين علىّ مقابلة النحاس باشا أولا قبل اتخاذ أى إجراء .

وكما قلت للجنة فى اجتماعها الأخير :

– سيكون شيئاً مضحكاً للغاية أن تؤيد رجلا لا يرغب فى التأييد :

وعلى ذلك فإن أول إجراء لى سيكون مشاورة النحاس – ووضع برنامج – أو جدول زمنى .

وفكرتى تنحصر فى دفع الحكومة المصرية إلى المقدمة بقدر الإمكان – حتى تغطى سلطتها مجمل الإجراء – وافقت اللجنة على ذلك – ثم ناقشت عندئذ وبطريقة متنكئة ما الذى سنقوم به فعلا » .

ومعنى هذا أن كيلرن كان يريد من النحاس أن يطرد (فاروق) لحسابه ولحساب الإنجليز ، بدلا من أن يفعل الإنجليز ذلك بأنفسهم . فإن هذه التفاصيل كتبها كيلرن نفسه وهو يكتب محضر الجلسة الثانية للجنة الدفاع ، كما وجد بين الوثائق السرية البريطانية .

ويستمر كيلرن يصف محضر الاجتماع :

« كنا جميعاً متفقين على أنه لا يمكن تكرار زيارة الدبابات للقصر .

قلت :

– يجب أن أزور الملك وأحاول إقناعه – بكل ما أوتيت من حجة – بما وصلنى من لندن .

وإذا رفض فسأتركه بعد أن أخبره أن عواقب رفضه ستكون وخيمة للغاية . ويجب أن أستشير لندن فى الأمر .

أما الإنذار فيجب توجيهه فى زيارة لاحقة لجلالته .

وآمل أن يصحبنى فيها الجنرال باجت نفسه .

وإذا ظل الملك فاروق على رفضه فسأحيل الأمر إلى الجنرال باجت ليتعامل مع الموقف الجديد » .

« ووافق الجميع قائلين :

– إن كل ذلك سابق لأوانه ، وإنه حتى تصل التعليمات من لندن فليست هناك فائدة من مناقشة مثل هذه الأحداث . التى لا يمكن أن نتنبأ بطبيعتها » .

أما باقى برقية الجنرال باجت فتتناول التفاصيل التكتيكية للمتطلبات العسكرية التى سيتطلبها كل من الحدثين :

(ا) طرد الوفد .

أو

(ب) اضطرارنا لاتخاذ إجراء ضد الملك .

* * *

ويستقبل الملك فاروق مستر لانديس ، مدير البعثة الاقتصادية الأمريكية ويقول له :

– سأقاتل لعزل النحاس ولوكلفنى ذلك العرش .

ويبرق لانديس إلى الرئيس الأمريكى ترومان قائلاً :

« إن الحكومة البريطانية تربطها محالفة عسكرية وثيقة مع مصر .

ولهذا فالدفاع عن مصر مسئولية بريطانية أولا .

وفى إطار زاوية الأمن . فإن الأزمة السياسية الراهنة تدخل ضمن الشواغل الأساسية للحكومة البريطانية أكثر مما هو بالنسبة لهذه الحكومة « الأمريكية » .

وعلى هذا فمن المعتقد أن التطورات الأخيرة فى مصر ، فى مرحلتها الراهنة على الأقل ، لا تحتاج إلى مناقشتها بيننا وبين الحكومة البريطانية مادامت المسألة تدخل فى نطاق صميم المسئولية العسكرية البريطانية والمفروض أن يتخذ البريطانيون زمام المبادرة فى التعامل مع الأزمة الراهنة » .

للمرة الثانية يحاول الملك فاروق استعداء أمريكا ضد بريطانيا .

المرة الأولى : فى حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ، يوم حاول الاستنجاد بألكسندر كيرك وزير أمريكا المفوض فى مصر ليتدخل ضد السفير البريطانى .

والمرة الثانية : عندما أراد عزل النحاس ومنعه تشرشل !

وفى المرة الأولى كانت لفاروق كبرياؤه – أو ظروفه – نتيجة حصار قصر عابدين بالدبابات ، فاستدعى ألكسندر كيرك الوزير المفوض إلى القصر .

ولكن فى المرة الثانية تسلل الملك سرًّا – وفى الظلام – إلى بيت ألكسندر كيرك الوزير الأمريكى المفوض .

وهذه الرسالة من كيرك إلى حكومته تصف فشل الملك . . للمرة الثانية . . مع أمريكا .

برقية رقم ٩٧٣ .

بتاريخ ٢٠ أبريل ١٩٤٤ .

« أصر الملك فاروق على لقائى سرًّا فى منزلى الليلة الماضية لبحث الأزمة السياسية .

حاول الاتصال بى منذ يوم الجمعة ولكنى كنت فى إيران ، فترك لى نسخة من مذكرته إلى السفارة البريطانية والرد الشفهى من تشرشل الذى نقله إليه السفير البريطانى .

ويعلن الملك أنه عاقد العزم على إنهاء الخلاف بينه وبين رئيس الوزراء بالقوة ، حتى لوكلفه ذلك اعتزال العرش – والإقامة فى المنفى !

إن الخلاف بين الملك ورئيس الوزراء خلاف داخلى .

ويمكن أن تكون له عواقب على كل منطقة الشرق الأوسط .

وكانت مقابلتى مع الملك شخصية تماماً ولم يطلب منى بصورة متعمدة شيئاً سوى صداقتى الشخصية .

وتم استكشاف مسألة التشاور مع الحكومة البريطانية ، إما فى وشنطن أو فى لندن تمهيداً لأى تصرف قد تقدم عليه الحكومة البريطانية .

وتم تحليل احتمالات الموقف على ضوء المسئوليات التى قد تجد الولايات المتحدة نفسها ملزمة بقبولها أو رفضها » .

وإلى هنا تنتهى برقية كيرك . . فإن (فاروق) كان يريد فقد أن يحيط أمريكا . . علماً ! !

* * *

ويتلقى كيلرن التعليمات من لندن فى برقية عاجلة وافق عليها رئيس الوزراء ونستون تشرشل .

والغريب فى أمر هذه البرقية أنها كانت موجهة من وزارة الحرب البريطانية إلى الملك فاروق .

وحكومة الحرب كانت تضم عدداً محدوداً من الوزراء البريطانيين الذين يملكون السلطة كاملة . . فهم الوزراء المؤثرون . . أو الذين يملكون المقاعد الوزارية الحساسة والمسئولة فى لندن .

قالت البرقية :

« سمعت وزارة الحرب بقلق كبير بأن جلالتكم « أى ملك مصر » تفكرون فى إقالة حكومة النحاس باشا بالرغم من أن حكومته حائزة على أغلبية كبيرة فى مجلس النواب .

ومازال أمامه ثلاث سنوات قبل انتهاء دورته القانونية .

ومن وجهة النظر البريطانية والدستورية فإن هذا سيبدو مسلكاً مثيراً جدًّا للشكوك ، وقد يكون مساراً خطيراً .

وعلى أية حال فإن كان جلالتكم تشعرون بأن إجراء انتخابات عامة عاجلة سيصفى الجو ، وإذا تم إقناع رئيس الوزراء بخوض الانتخابات فإن حل المجلس لن يكون موضوعاً تشعر حكومة صاحب الجلالة ملك بريطانيا بأنه صحيح للتعبير عن الرأى .

والطريق الأوحد الذى تشعر حكومة صاحب الجلالة ملك بريطانيا بأنه سيكون ضروريًّا تجنبه – بصورة خاصة – هو تعيين رئيس وزراء من رجال القصر ، أو رئيس وزراء آخر لا يحوز أغلبية فى مجلس النواب ، والاحتفاظ بهذا الوزير الجديد فى السلطة بهدف إجراء الانتخابات .

ستجد حكومة صاحب الجلالة أنه من المستحيل عليها الدفاع عن مثل هذا الإجراء علناً .

وقد تشعر بأنها ملزمة بإبلاغ سفيرها بتقديم نصيحة رسمية ضد مثل هذا المسار » .

هذه هى الرسالة الموجهة للملك فاروق . . أما الرسالة الموجهة للسفير فتقول :

« . . . فى نفس الوقت على رؤساء الأركان اتخاذ جميع الخطوات الضرورية للتأكد من أن قواتهم تم إعدادها . وأنها مستعدة لتقديم الدعم الذى يطلبه السفير .

* * *

وكانت هناك مقدمة لهذه البرقية ليطالعها كيلرن نفسه .

قالت المقدمة : إن وزارة الحرب بحثت العديد من البرقيات الواردة من الشرق الأوسط حول النزاع بين الملك فاروق وحكومته .

وقد أعادت وزارة الحرب قراءة البرقيات التى وردت حول ظروف مماثلة تماماً وقعت منذ حوالى عام مضى .

– وقالت المقدمة أيضاً :

« إن البرقيات أوضحت بجلاء المخاوف – التى لا لزوم لها – والتى ساورت رؤساء الأركان فى ذلك الوقت . والتنبؤات الكئيبة التى أعربت عنها السلطات العسكرية . . وأظهرت القلق الذى أعرب عنه وزير الدولة – فى ذلك الوقت . والقرارات التى اتخذتها وزارة الحرب لتخطى وجهات النظر هذه ، والنتائج السعيدة التى تم الحصول عليها بسبب العمل الحاسم الذى قام به سفير صاحب الجلالة ملك بريطانيا ، والتى لم تستبعد استخدام القوة . .

وقالت المقدمة :

« ثارت تعقيدات جديدة لهذه المناسبة فى المشكلة اليونانية . . أى تمرد القوات اليونانية فى مصر ، والتى أود أن يتم تسويتها قبل اتخاذ مزيد من الإجراءات .

« ومن جهة أخرى فإن التحسن فى أوضاع حرب الحلفاء عظيم جداً منذ العام الماضى . . فى الوقت الذى لا يمكن فيه استبعاد القوة للضغط على الملك . . ومن المحتمل أن ذلك سيكون مطلوباً ، وعلى أية حال فالمرغوب فيه كسب قليل من الوقت لإضعاف المتمردين اليونانيين » .

وهذه المقدمة تتضمن عدة حقائق هامة وهى :

إنه إذا كان الإنذار الذى تم بالنسبة للكتاب الأسود – وكانت نتيجته خضوع فاروق وعدم إقالة النحاس قبل عام – فإن هذا الإنذار يمكن أن يتكرر مرة أخرى . ويحقق نفس النتيجة عن طريق التهديد باستعمال القوة . . دون استعمالها . . أو باستعمالها !

* * *

ويذهب كيلرن فى الخامسة مساءً إلى القصر الملكى ليلتقى بفاروق ، ويدوم اللقاء ٢٥ دقيقة لكنها كانت دقائق حاسمة فى تاريخ مصر . . لأن السفير كان يحمل إنذاراً من وزارة الحرب ضد فاروق بأن القوة ستستخدم معه إذا فكر فى عزل النحاس .

ووضعت البرقية أمام فاروق أن يختار بين أمرين :

أن يجرى النحاس الانتخابات . .

أو يبقى النحاس .

باختصار . . كان حادث ٤ فبراير يتكرر بصورة أخرى .

وعندما بدأ اللقاء كان فاروق فى حالة ودية بينما يقرأ السفير – بصوت عال – الرسالة التى بعث بها رئيس وزراء بريطانيا . .

قال كيلرن :

« يجب اعتبار هذه رسالة شفوية . .

واضاف السفير للملك .

– هل تحس بالميل لدعوة النحاس باشا للاحتكام إلى الشعب . . أى أن يجرى النحاس الانتخابات ؟

قال فاروق على الفور :

– إن لى ميلا لهذا الإجراء .

وأضاف :

– إن لدىّ سؤالا أوجهه للحكومة البريطانية وهو . . هل الحكومة البريطانية مستعدة للاختيار بشكل قاطع بين ملك مصر وبقاء النحاس باشا فى السلطة ؟

قال كيلرن :

– أريد من جلالتكم أن توضحوا سؤالكم قليلاً .

أجاب فاروق :

– إن الملك (فاروق) يتصرف كما يفكر بأفضل طريقة يراها لصالح بلاده . . ولكنى الآن أفكر فى الدفاع عن شرفى .

وكان فاروق يقصد بذلك أنه أحرج ، لأنه لا يستطيع إقالة حكومته .

ويكتب كيلرن لحكومته يصف مشاعره وهو يسمع الملك . . قال كيلرن :

« إن الأمر أكثر تسلية ، فقد وضع الملك شرفه الخاص قبل مصلحة البلاد . .

وقد ذكرت هذا لأظهر العقل الطفولى الذى أتعامل معه . . وأن أبين لكم جهودى لأكون عادلا مع الولد » . . (يقصد فاروقاً) .

قال فاروق :

– إذا قررتم تأييد النحاس فإنى آمل أن تسحبوا الرسالة التى تبادلتموها مع النحاس يوم ٥ فبراير ١٩٤٢ ، والخاصة بأنكم لن تتدخلوا فى شئون مصر الداخلية .

أجاب كيلرن :

– مع كل الاحترام فإن هذا ليس من شأن أحد إلا النحاس باشا .

وأضاف :

– هناك سؤالان يجب أن أضعهما أمام جلالتكم الآن .

الأول : ألا يمكنكم أن تتبنوا اقتراح النحاس باشا بإجراء الانتخابات ؟

رد فاروق قائلاً :

– لا يمكنى ذلك ، لأنه لا توجد حرية فى التصويت فى ظل النحاس !

قال كيلرن :

« فى هذه الحالة أوجه لجلالتكم السؤال الثانى ، هل أنت غير مستعد لمواصلة العمل مع الحكومة القائمة ؟ (أى حكومة النحاس) .

قال فاروق :

– أريد أولاً إجابة على سؤالى الذى وجهته لكم وهو . . هل اخترتم نهائيًا بين النحاس وبينى ؟

وأضاف :

– « أؤكد أننى لن أتخذ إجراءً لدفع الأمور بسرعة » .

ويترجم كيلرن هذه الكلمات فى برقيته لحكومته قائلاً :

– « معنى ذلك أن (فاروقا) لن يثور ويقيل النحاس » .

كان الحديث قد امتد ٢٥ دقيقة . .

أراد كيلرن إنهاء المقابلة فقال لفاروق :

– إن الأمر يدعو للرثاء ، لأنك لم تنذرنا قبل خلق هذه الأزمة . . وكان الأمر يصبح أكثر سهولة » .

أجاب فاروق :

– إنى لست متحيزًا لوضعى الخاص . . إن الأمر أمر مصير . . ولم أضع نفسى بنفسى على عرش مصر لأواجه كل هذه المشاكل .

ويسمع كيلرن هذا التلميح فيرد :

– « أذكرك بما قلته لك فى عدة مناسبات . .

عندما وصلت إلى مصر لأول مرة كان والدكم الملك فؤاد يجلس على عرش مصر ، وكان من عادتى أن أرى الملك (فؤاد) مرة كل أسبوع .

وكانت لى – معه – محادثات مفيدة . . عديدة . . وطويلة . . »

وقال كيلرن :

– إن الملك (فؤاد) كان ملكاً مريضاً – بصورة ما – و . . عمليًا لم يسافر خارج البلاد قطّ .

وكانت أمامه فرص كبيرة للقراءة وتقدير الاعتبارات السياسية ، وقد استفدت كثيراً من هذه الأحاديث حول كل الموضوعات الممكن تصورها .

« وكانت تربطنى بالملك فؤاد علاقات الصداقة الطيبة . .

وكان أمراً محزناً - بالنسبة لى - أن لندن لم تقدر الملك (فؤاد) بصورة أكبر.

ولم تكن هذه غلطتى . . فقد أوضحت للندن عملياً - منذ لحظة وصولى لمصر - أن الملك (فؤاد) يعتبر شيئاً ثميناً لبلاده . . ولنا .

لقد وضع مصر على الخريطة .

وقال كيلرن :

- إنى أذكر كيف أن الملك (فؤاد) كان متشائماً بالنسبة للآمال التى ستواجه ابنه عندما يصل إلى عرش مصر.

إن الملك (فؤاد) كان دائماً يقول :

الولد المسكين ليست أمامه فرصة .

وأضاف كيلرن :

- لم تكن هناك حاجة لمثل هذا التشاؤم بشرط أن يتصرف الملك فاروق بطريقته . . فإن عدداً منا - نحن البريطانيين فى مصر - على استعداد لمساعدته عند وجود صعوبات .

ومما يبعث على الأسى أن أجد نفسى - غالباً - مشتركاً فى هذه المشكلة السياسية الرديئة » .

وفى برقيته للندن . . قال كيلرن :

تركت (فاروق) بعد هذه المحاضرة الرنانة . .

وكان الحديث من أكثر الأحاديث ذات الطبيعة الودية التى أجريتها مع « فاروق » .

وقبل أن يغادر كيلرن القاعة قال لفاروق :

- بعد إذنك . . سأرى حسنين وأبلغه رسالة وزارة الحرب . .

ويدوم اللقاء مع حسنين ساعة كاملة .

ووصف كيلرن لقاءه بأحمد حسنين باشا رئيس ديوان الملك الذى شهد إنذار ٤ فبراير وإنذار الكتاب الأسود ، وهذا هو الإنذار الثالث .

قال كيلرن :

أعدت على أحمد حسنين فحوى الحديث الذى جرى بينى وبين الملك فاروق وأبلغته نص كلمات السؤال الذى وجهه لى الملك فاروق .

بدأ حسنين مهموماً مأخوذاً وقد يكون هذا تمثيلاً ولكنى أشك فى ذلك . قرأ حسنين الرسالة الواردة من لندن بعناية بالغة . . وبدأ يقول إنه مرتاح جداً ، لأن لندن لا ترغب فى أن ترى حسنين رجل القصر يرأس الحكومة . . فإنه قَبِلَ تحمل العبء بنفور كبير وبشرط خاص

انتزعه من الملك فاروق بأن على الملك أن يتخلى عن مزيد من التصرفات الصغيرة مع النحاس ، وأن يقيم علاقات حقيقية من الصداقة والود الشديد .

وكرر القول بأنه مرتاح جدًّا بأنه ليس عليه أن يتحمل العبء المرسوم بعدما قدرته وزارة الحرب فى لندن ،

وعند ذاك عرضت على حسنين باشا النقطتين الخاصتين فى الرسالة .

– وقلت له :

– إن الملك (فاروق) كان عنيداً جدًّا ضد السماح للنحاس بالتوجه إلى الشعب لإجراء انتخابات .

وسألت حسنين :

– هل يمكننى أن أغير من موقف الملك فى هذه النقطة ؟

قال حسنين :

– هذا مستحيل تماماً .

قلت :

– من الظلم إقالة النحاس أولا ، ثم إجراء انتخابات بعد ذلك ، فإن الجميع سينظرون إلى النحاس على أنه رجل مدين .

ولم يستجب حسنين لهذه النقطة ، ورفض أن يتزحزح عن موقفه من مسألة إجراء انتخابات فى ظل وزارة يرأسها النحاس .

وعندئذ عرضت عليه البديل ، وهو إبقاء وزارة النحاس ، فاستغرق حسنين فى استعراض طويل للموقف ، وأن هذا سيفسد العلاقات بين مصر وبريطانيا .

قال :

– مرة أخرى سيكون البريطانيون هم الذين فرضوا حكومة غير شعبية على البلاد .

وإذا وقع الخزى مرة أخرى بصورة كبيرة علينا فإن حسنين كصديق حقيقى لبريطانيا العظمى يخشى – بشدة – ما يتعلق بالنتائج ، لدرجة أنه أشار إلى احتمال عودة ثورة عام ١٩١٩ الزاجيدية » .

« قلت إن لديه وجهة نظره بلا شك ، ولكن تبعاً للظواهر هناك اعتبارات على القصر أن يفكر فيها قبل أن نواجه بهذه الأزمة الداخلية التى لا مبرر لها . »

وعلى أية حال فلم يكن لدىّ ما أضيفه لرسالة حكومتى إلا أنى أشعر – لصالح الملك – أن على حسنين أن يفكر مليًّا فى خطورة النتائج المحتملة للسؤال الذى وجهه الملك لى .

وعرضت أن أعطى حسنين فرصة للتفكير - بطريقة جادة - لما جاء فى رسالة وزارة الحرب .

وأضفت أنه إذا قرر الملك فاروق الاحتفاظ بحكومته الحالية فإنه يستطيع ذلك بالتأكيد .

قال حسنين : إن القصر سيفقد الكثير جداً من ماء وجهه .

قلت :

- إن الملك (فاروق) كان بوسعه بسهولة أن يبلغ الجميع أنه بوصفه حليفاً مخلصاً ، وفى ضوء التطورات الضخمة ، وفى ضوء ما أعلن عنه من رغبة تحدوه فى التعاون معنا ، أدرك كيف أن إجراء تغيير مفاجئ وهزة كبيرة فى مصر يبدو عملا غير سليم أمام العالم ، باعتبار مصر قاعدة أساسية بالنسبة لعملياتنا الحربية .

ولكن أحمد حسنين ظل يرفض أن شيئاً كهذا ممكن الحدوث . .

تركته ليتدبر النصيحة التى سيقدمها لسيده الشاب ، لأن هذه المسألة قد تصبح من الخطورة بمكان كما ورد فى نص رسالة وزارة الحرب » .

ويتلقى اللورد كيلرن برقية شخصية . . وخاصة جداً مع ونستون تشرشل قال فيها :

« إنك اطلعت على برقيتى .

أرجو إبلاغى عن رأيك بشأنها . ومن العجيب أن ما حدث فى السنة الماضية يكاد يتكرر بحذافيره - هذا العام - ومع ذلك فقد يكون القصر تعلم من التجربة . وقد لعب الجنرال ونستون دوراً انهزاميا فى السنة الماضية ، فهل يلعب دوراً غير سليم هذه المرة » .

* * *

٢٢ أبريل : حكومة الوفد تعقد سلسلة من الاجتماعات غير الرسمية لإعداد دفاع مطول ينشر إذا أرغمت الحكومة على الاستقالة .

وفى المذكرة يؤكد الوفد أنه انقطع لقضية استقلال مصر ، وأنه يعرب عن الولاء للنظام الدستورى وللعرش .

وتقول المذكرة أيضاً إن الوفد يتخذ موقفاً ضد التدخل الأجنبى فى شئون مصر . . واللوم يقع على الملك ، لأنه رجع إلى البريطانيين فى أمر ذى أهمية داخلية .

ويلتقى ألكسندر كيرك مع السفير البريطانى .

ويقول كيرك :

- يجب العمل على تجنب القلاقل الخطيرة التى تنتج حتما من الالتجاء للقوة بصرف النظر

عما إذا كانت الإجراءات تمس الملك أو النحاس أوكليهما . إن خطر اتخاذ عمل غير مدروس سيقوض العرش بوصفه العنصر المتصل فى التقاليد الحكومية المصرية .

ولا يوجد بديل للعرش يحل محله فى ظل النظام الحالى لتحالفات الحزبية الصغيرة .

ويضيف كيرك :

- هذه آرائى الشخصية .

* * *

ولكن كيلرن كان مهتمًا باتخاذ الإجراءات القوية .

يجتمع الحلفاء . تيرينس شون الوزير المفوض . وولتر سمارت السكرتير الشرقى للسفارة . وأمين عثمان لوضع الخطوط العريضة للخطوات المختلفة المقرر اتخاذها إذا حدثت إقالة مفاجئة للحكومة وهذه الخطوة كما يقول الإنذار يجب ألا تكون مطروحة على بساط البحث .

ويبقى كيلرن فى مكتبه حتى السابعة مساء . .

وتصله رسالة تفيد بأن رؤساء أركان الحرب البريطانيين الثلاثة بعثوا إليه برسالة مشتركة عاجلة جدًا ، ويرجون منه اتخاذ إجراء فورى بشأنها .

وينتظر كيرن الرسالة فى حديقة السفارة حتى التاسعة والنصف وعندما يشعر بالقلق يتصل بقيادة الجنرال باجت تليفونيًا يسأل عن الرسالة قائلاً بغرور شديد :

- لست مطالباً أن أقضى الليلة كلها فى انتظار رسالة من أى إنسان !

وتصله الرسالة فى الحادية عشرة مساء مع جيزيك ضابط الشرطة البريطانى الذى يعمل فى البوليس المصرى .

وقال جيزيك :

- السبب فى تأخير الرسالة هو أن القوات لم تستطع معرفة مكان قائد الطيران البريطانى ليوقع بإمضائه على الرسالة .

قال كيلرن :

لقد عرفت « بالصدفة » أن مارشال الجو البريطانى يسهر مع الملك فاروق فى « أوبرج الأهرام » . .

أما الرسالة فكانت تطلب من كيلرن أن يحث المصريين على اتخاذ إجراءات وقائية معينة قبل ظهر الغد ، لأن بريطانيا قررت اتخاذ إجراءات مضادة ضد السفن اليونانية المتمردة فى ميناء الإسكندرية والفرقة الأولى اليونانية الموجودة قرب برج العرب .

* * *

٢٣ أبريل : الكولونيل دريج الملحق العسكرى الأمريكى وثيق الصلة ببعض الضباط من حاشية الملك ولذلك يجتمع به كيرك ويقدم له بعض الآراء طالبا منه نقلها للحاشية حتى تصل إلى الملك . . .

وفعلاً عرف كيرك أن صاحب الجلالة قد أحيط علماً . .

وهذه هى آراء كيرك .

« إن أكثر ما تحتاج إليه البلاد أن يدرك زعماؤها التأثيرات الخطيرة لإضعاف بنيانهم السياسى بالاتهامات الداخلية .

أما الأهم فهو وضع مصالح البلاد فى الصدارة والتجمع على أن يثبتوا لأنفسهم وللعالم أنهم قادرون على تسوية خلافاتهم ورسم مصيرهم كأمة مستقلة حقًا .

والوقت الحاضر – كما أشعر – هو أوان انتصار هذا المفهوم بالذات .

وأكدت أن موقفاً متعنتاً من جانب الملك تشوبه أشد الأخطار عليه وعلى مصر ، وأن العالم الخارجى لن يفهم أبداً تعجيله بأزمة وزارية فى وقت لا يبدو فيه أن مصالح البلاد الأساسية تتعرض للخطر من حكومة النحاس أكثر من أى وقت مضى .

وأى عمل يهدد استقرار هذه المنطقة فى وقت ينتظر فيه وقوع أحداث كبيرة فى أماكن أخرى لن يجد فهماً أو تعاضياً فى العالم الخارجى » .

* * *

٢٤ أبريل : تلقى كيلرن مكالمة تليفونية من أحمد حسنين باشا يطلب فيها مقابلته ، لأنه يحمل رسالة خطية من فاروق .

قال كيلرن :

– تعال فى الثالثة ، فإنى مدعو للغداء . . ويجىء حسنين ومعه الرسالة التالية من فاروق :

« ردًّا على رسالة وزارة الحرب المبلغة عن طريق سعادتكم إلى جلالة الملك فى ٢١ أبريل . . أمرنى جلالته أن أبلغ سعادتكم أنه قرر أن يترك الحكومة الحالية فى الحكم فى الوقت الحاضر » .

قال كيلرن لحسنين :

« إنى مرتاح جدًّا » .

ورجاه أن يشكر الملك فاروق على قراره الحكيم الذى سيبلغه – فوراً – إلى لندن .

٢٥ أبريل : يفكر النحاس فى اتخاذ موقف متشدد ضد القصر . . وإنه لابد من إخراج حسنين باشا من منصبه ، ولابد أن تتعهد السراى بألا تعرقل عمل الحكومة . . و . .

ولكن السفارة البريطانية – من خلال أمين عثمان – تقنع النحاس بخطر تبنى الموقف المتشدد .

٢٦ أبريل : تلقى كيلرن برقية من ونستون تشرشل تقول :

« برافو » .

« أنا متأكد أنك وضعتهم فى حجمهم الطبيعى . .

قل للنحاس على لسانى أن يصلح الأمور بينه وبين البلاط الملكى حتى تتاح لحكومته بداية عادلة من جديد » .

وقال له :

« إننى أعارض بشدة إقحامى فى الشئون المصرية الداخلية » .

وفى مذكراته كتب كيلرن :

« تلقيت واحدة أخرى من رسائل ونستون التى لا تقدر بمال وهو يشير إلى ما اعتزمه من أنه عندما تصبح الظروف مواتية فسوف أتحدث مع كل من النحاس والملك ، حتى أعمل على تسوية الأزمة الأخيرة .

وقد أشرت فى برقيتى بهذا الشأن إلى أن صعوبة التوفيق بين الملك والحكومة تماثل صعوبة مزج الزيت على الخل .

وقالت برقية تشرشل :

« أنا متأكد أنك على حق .

ولابد أن نشرع فى العمل على مستوى جبهة النحاس .

لا تقلق بشأن مزج الزيت بالخل فهى عملية تجرى دائماً إن أردت صنع سلاطة شهية ! !

وعليك أن تجعل النحاس يشعر أننا أيدناه ، لأن الحياة المستقرة فى مصر أمر هام بالنسبة لقضية الحلفاء .

أما إذا أصبح النحاس نفسه مصدراً للمتاعب فإن من السهل علينا أن نتبع السبيل الآخر ، فإن هدفنا دائماً هو السلم والحرية . » .

وتقول مذكرات كيلرن :

« سمعت هذا الصباح أن النحاس والملك (فاروق) لم يتقابلا حتى الآن ، وعلى هذا

أخبرت مساعدى تريفور إيفانز أن يبلغ حسنين رسالة منى أقول فيها : إنهما يقومان بدور الغبى فى اللعبة .

ورأيت ألا أقابل الملك (فاروق) إلا بعد أن يقابل رئيس وزرائه . »

« وعلى أساس هذا الافتراض فإنى أطلب مقابلة مع الملك يوم الاثنين القادم لأقدم إليه برقى بروك بوصفه رئيساً للصليب الأحمر بسبب مغادرة بروك صباح الثلاثاء » .

« وتلقيت بعد الغداء مخابرة تليفونية من حسنين تفيد بأن الملك سيرى النحاس فى الرابعة بعد ظهر الاثنين .

وعلى هذا قلت إنى أطلب المقابلة مع الملك فى وقت متأخر من نفس المساء .

وهذا يبين أن القصر دائماً يمارس ألاعيبه » .

كم أنهم ظرفاء وأغبياء .

« والمرء فى الحقيقة ينفد صبره مع مصطفى النحاس » .

ويمشى النواب الوفديون فى الشوارع يهتفون :

وهؤلاء النواب لا يعرفون كلمة إنجليزية واحدة ، وإنما رددوا الهتاف الذى يعنى : « No change » لا تغيير .

أى أن وزارة الوفد باقية فى الحكم .

ويلتقى فاروق بالنحاس .

وتبقى وزارة النحاس .

ولكن ذلك كله إلى حين .

* * *

ويلتقى كيلرن مع بيتر فريزر رئيس وزراء نيوزيلندا .

ويسمع فريزر كل هذه القصص والخطابات والنوادر ، ويجتمع بمصطفى النحاس .

قال فريزر لكيلرن :

« إنى أفهم تماماً السياسة التى تتبعها . . إنك تسعى لتحقيق مصالح بريطانيا الحربية فى الشرق الأوسط وتستغل الوسائل المتاحة لك . » .

ويقول فريزر :

– أعرف أنه فى أى وقت ، عندما تشعر أن الوفد لم يعد مفيداً فستكون أول من يطالب بالتغيير فى سياسة بريطانيا ، بالنسبة للشئون الداخلية فى مصر .

ويرد كيلرن :

– أنت على حق . .

ولكن كل رجال السياسة فى مصر . . وبالذات رجال الوفد . . لم يعرفوا هذا الحوار الذى جرى بين رئيس وزراء نيوزيلندا . . واللورد كيلرن سفير بريطانيا فى القاهرة .

* * *

يجتمع مجلس الوزراء المصرى .

ويوافق الملك على كل المراسيم المتراكمة التى قدمتها له الحكومة ويوقع عليها .

ويلتقى كيرك بالملك فاروق لوداعه بمناسبة سفره إلى إيطاليا . .

ويجد كيرك الملك مكتئباً ومغتمًّا .

قال فاروق :

الشخصيات المصرية ذات الكفاءة التى يمكن الاعتماد عليها فى الحياة السياسية المصرية نادرة . وأمريكا فقدت الاهتمام بالمشكلات السياسية للدول الأخرى .

ويشير فاروق تلميحاً إلى ترحيبه بالمساندة الأمريكية لتحرير مصر من البريطانيين . ولا يحاول كيرك أن يفهم ! بل ينصح الملك قائلاً :

– أفضل علاج لمصر هو بذل طاقاتها الذاتية لا اللجوء إلى المساعدة الأجنبية . وأمام العرش فرصة عظيمة إذا فهم نظرية أن الملك خادم لشعبه !

* * *

ويبعث كيرك إلى وشنطن معلّقاً على كل هذه الأحداث قائلاً :

« فى برقياتى السابقة استنكرت فقدان البصيرة السياسية من جانب كل من الملك والنحاس باشا ، مما يؤدى إلى خلق موقف ذات خطورة سياسية حول التنافس على المكانة الشخصية ، فى وقت يستجمع فيه الحلفاء طاقتهم استعداداً للمرحلة النهائية فى نضالهم العظيم ضد قوى المحور السوداء .

« وأكدت أن الدليل على عدم النضج السياسى ليس مرحلة عابرة ، بل هى تجسيد للفشل الطويل الأمد للزعماء السياسيين المصريين فى مواجهة الحقائق ومواجهة مسئولياتهم مباشرة . وهو لا يثبت حقهم فى منع التدخل الأجنبى وفى الاستقلال الذى يتحدثون عنه كثيراً ولكنهم يفعلون القليل من أجله .

إن هذا الإفلاس للزعامة وللوطنية الصادقة ربما يكون ، بنسبة معينة ، نتيجة طبيعية لقرون من الخضوع لحاكم أجنبى أو تأثير أجنبى .

وقد يكون هذا الإفلاس لأن مصر تواجه مشكلة رواسب السياسة البريطانية .

إن هذه السياسة تعزز الاعتماد على بريطانيا من خلال النزعة الأبوية الزائدة ، سواء كانت نزعة صادقة ، أو تسعى ، للاستفادة الذاتية البريطانية . وهذا أمر مسلّم به .

إن اهتمام مصر لا يجب أن يكمن فى الخارج بل فى داخل البلاد ، بتخليص نفسها من عقدة الخضوع العبودى ، واتخاذ خطوات فعالة لتخفيف الظلم الاجتماعى الذى يسد الطريق أمام التقدم القومى .

ويجب أن نلاحظ أن هناك ومضات لوعى وليد ، يريد إعادة تقييم القيم الأساسية .

ومن المثير أن نلاحظ ، كما ورد فى حديث الملك فاروق ، أن هناك ميلاً متزايداً للتطلع إلى الولايات المتحدة ، ليس من أجل المساعدة المباشرة فقط بل من أجل الإلهام والإرشاد لتطوير المؤسسات المصرية ، على غرار عالم المستقبل ، الذى يأمل المصريون وشعوب الشرق الأدنى والأوسط أن (تتولى) الولايات المتحدة فيه قيادة حازمة ومتصلة ، من خلال تطبيق سياستنا فى تشجيع تطور الحرية الحقيقية والاعتماد على النفس لدى الأمم دون اكتساب وصمة التدخل الناشئ عن نصيحة سيئة .

ومن هنا فإنى ، وفى ذهنى هذه الأمور ، أوصى بشدة أن يبقى أمام أعيننا باستمرار إمكانية تقديم يد المساهمة لمصر حسب ما تتطلبه الظروف ، لا كوسيلة مؤقتة تستهدف الحفاظ على أمن المنطقة كقاعدة عسكرية هامة فى تنفيذ الحرب فى أوربا والشرق الأقصى ، بل فى الإيمان أن مصر بفضل موقعها الجغرافى غير العادى سوف تبرز فى السنوات الطويلة المقبلة بصورة متزايدة ، كعامل له اعتباره فى إعادة بناء وتطوير هذا الجزء من العالم » .

ولقد حددت هذه البرقية النقاط فوق كل الحروف . .

حددت ورسمت خطوط المستقبل السياسى فى مصر . . كما جرى بالضبط !

النحاس باشا الذى نصح بالاعتدال . . يتشدد ويتطرف مرة أخرى ضد فاروق ، فيقيله فاروق .

والشخصية اللامعة التى أفرط كيلرن فى مدحها – أحمد ماهر – تسند إليه رئاسة الوزارة بعد النحاس مباشرة !

والشخصية الوفدية الوحيدة التى أفرط كيلرن فى الإشادة بكفاءتها – أحمد نجيب الهلالى – ينفصل عن الوفد ويهاجم النحاس . . ويتولى رئاسة الوزارة بعد سنوات من رحيل كيلرن عن مصر . .

ولكن الصراع الحزبى بصورته السيئة . . يدوم طويلاً .

وتتبلور ومضات الوعى السياسى الوليد فى ثورة . .
ويكون لأمريكا دور فى الشرق الأوسط !

* * *

ويرد كيلرن على برقية التهنئة التى تلقاها من تشرشل فيقول له :
« الحكاية كانت مجرد مشكلة . . الحصان يجرى . . كما يجب . . إشارة إلى فاروق !

* * *

MEMORANDUM FOR THE PRESIDENT

Subject: Telegram from Mr. Landis Regarding the Present Political Crisis in Egypt.

Reference is made to telegram no. 973, April 20, noon addressed to you by Mr. Landis regarding the present political crisis in Egypt.

The nature of this crisis may be summarized briefly as follows:

The King of Egypt has informed the British Ambassador that he desires the dismissal of Nahas Pasha, the present Prime Minister because of alleged attempts on the part of the Prime Minister to undermine the King and on account of the alleged corruption of the present regime. The King proposed the establishment of a government headed by the present Chief of the Royal Cabinet. The British Ambassador notified his Government of this development and received a message from Mr. Churchill stating that this matter is of such importance that it must be submitted to the British Cabinet and instructing the British Ambassador to request the King not to take any action which might disturb the existing situation. As may be noted, the British Ambassador informed the King of Mr. Churchill's request.

It may be noted that, in the telegram under reference, Mr. Landis states that he assumes that this Government has given consideration to the question of consulting with the British Government in regard to the political crisis in Egypt. Egypt is within an area of primary British military responsibility. Furthermore, the British Government has a treaty of close military alliance with Egypt. In as much as the defense of Egypt is a primary British responsibility, it is considered that in view of the security angle, the present Egyptian political crisis is of primary concern to the British Government rather than to this Government. It is believed, therefore, that recent developments in Egypt, at their present stage at least, need not be discussed with the British by this Government. Since it is the primary military responsibility of the British, it is considered that the British should assume the initiative in dealing with the present crisis.

Enclosure:
Paraphrase of telegram no. 973, April 20, 1944, noon, from Cairo.

NE:WLP:MW 4/21/44 NEA S/CT APR 21 1944 P.M.

833.00/1378 PS/CF

البرقية التي بعث بها لانديس رئيس البعثة الاقتصادية الأمريكية إلى الرئيس الأمريكي وورفلت
عن رغبة فاروق وإصراره على عزل النحاس

ADDRESS OFFICIAL COMMUNICATIONS TO
THE SECRETARY OF STATE
WASHINGTON, D. C.

Indexed

DEPARTMENT OF STATE
WASHINGTON

AIR MAIL

RECEIVED BY THE UNITED STATES
OF AMERICA
JUN 2 1944
CAIRO, EGYPT

May 31, 1944

FOR ACT.	TO	FOR INFO.	INITS.
	MIN	✓	✓
	JEJ	✓	
	IAH		
	W B	✓	
	JE		
	COML	✓	
	CONS		
	ICO		
	M.AT		
	N.AT		

SECRET

No. 605

6/21/44
Copies of memoranda of conversations forwarded

To the
Officer in Charge of the American Mission,
Cairo.

The Secretary of State encloses for the strictly confidential information of the Officer in Charge of the American Mission copies of memoranda of conversations which took place in London between officers of the Department and British officials regarding matters relating to Egypt, Iraq, and the Middle East Supply Center.

Copies of these memoranda are also enclosed for delivery to the American Director of Economic Operations in the Middle East.

Enclosures:

1. Memorandum of Conversation, April 14, 1944, entitled "Egypt" (Two copies).
2. Memorandum of Conversation, April 26, 1944, entitled "Misr Airworks Case and Related Matters (Two copies).
3. Memorandum of Conversation, April 26, 1944, entitled "Egypt". (Two copies).
4. Memorandum of Conversation, April 18, 1944, entitled "Iraq" (Two copies).
5. Memorandum of Conversation, April 18, 1944, entitled "Middle East Supply Center" (Two copies).

الوثيقة الأمريكية عن الاجتماع الذي عقد في لندن بين وزير خارجية بريطانيا والسفير الأمريكي بشأن الوضع في مصر